

المادة س - لام - ف وعلاقتها بالمحتوى الاجتماعي : دراسة دلالية
 Root Words *Sīn, Lām, and Fā* and Its Relation to the Social
 Content: A Semantic Study

Dr. Muhammad Zubair Abbasi

*Assistant Professor, Department of Linguistics, Faculty of Arabic
 International Islamic University Islamabad Pakistan*

Dr. Nazir Ahmad

*Lecturer, Department of Translation and Interpretation, Faculty of Arabic
 International Islamic University Islamabad Pakistan*

Mr. Farman Ullah Khan

*Lecturer, Department of Literature, Faculty of Arabic International Islamic
 University Islamabad Pakistan*

Abstract

Sīn, Lām and Fā stand for Salaf, which indicates Salafism; it is initially a very eminent Islamic school of thought. Since Islam was spread over the Arabian world and exceeded all geographical boundaries until it reached the non-Arabian countries and islands; it was known as Islam described by Holy Qur'an, interpreted by Allah's Messenger (peace be upon Him) and stimulated by Holy Messenger's companions, their followers and the followers of the followers. The term Salafism was basically introduced to the Ummah for them as it was meant: the people of time who in each and every issue be followed without any doubt. Unfortunately, a large number of groups had born from social and political diachronies that later started claiming independently as to be a good example for others to be followed. Surely none of them could precisely prove themselves hundred percent on right way that had been proven by the earliest

golden age of Islam. Each one had professed as Salafī to prove oneself for others a good follower of Salaf. This matchless proclamation got all Ummah into sectarianism and racism. In present time Salafism has become a known symbol for a hierarchal group having different perspectives socially, politically and geographically. This paper is a short composition on the subject. It proves what is and what is not to be meant accurately by Salafism and what modern Salafism stands for?

Keywords: Root Words, Semantic, Social Content, Salafi

التقديم

منذ أن تداخلت الثقافات، وتقاربت الشعوب، وتعارف الناس أمضى العالم بجملته نقطة "العولمة"، والعائشون متعولمين. هذا التلاقح والتناقص في مشارق الأرض ومغاربها قد أتاح لبنى آدم - عليه السلام - فرص الإفادة والاستفادة، وذلك بهذيب المعاش وتطوير الحياة. كل أمة أنالها المقولة "الحكمة ضالة المؤمن" ¹ خير صاحبها. أولدت تلك اللقاءات العابرة النتيجة التي ذكرتها الآية القرآنية من التعارف والتبادل والتعاقب بين الأقوام والأمم. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ² لكن الشعب أو القبيلة التي طغت عليها الظروف والأوضاع حتى تضععت أركانها هي الشعب المسلم أو القبيلة المسلمة، فحملة لواء الإسلام تمثل شعباً أو قبيلة بالنسبة لحملة لواء الديانات الأخرى (غير الإسلام) مثل اليهودية والمسيحية وما سواهما. ثمة أصل ليس يحلّه ارتياح وهو "الاتباع" حيث بات ذلك التقليد والاتباع منبث الخير والنماء في ضوء الآية التي ترشد إليه وهي: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ³ وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ⁴ وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ ⁵ وفسر تلك الآية كلّها رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: "أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة" ⁶ وكذلك دعا الإسلام إلى التحاب والتراحم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ⁷ وفسر الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية الكريمة قائلاً: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى". ⁸ فالأمر الذي هدّد أركان الأمة الإسلامية، وفرّق شملها، وهدّم جمعها هو الغزو الفكرى الناجم عنه التفرّق والتشتت بمختلف أشكاله. تفرّقت الأمة الإسلامية في أول ولادتها إلى الفئة العثمانية والسبائية ثم العلوية وما إلى ذلك حتى عصور متأخرة. والمرتكز المشترك بين جميع تلك الفرق والجماعات هو الغلو في الفكر وعدم الاتباع والاستسلام للآخر والدعوة إلى المكابرة العقلية وعدم احترام رأى الآخر.

إشكالية الدراسة

بعد أن ثبت أن السلف الصالحين هم القدوة الحسنة للأمة جمعاء عموماً وللجنة خصوصاً التي تعترف بهويتها المعروفة بالسلفية، تحدث إشكالية كبرى للمتمعن في الأمر بأن من هو على صراط مستقيم: هل هم السلف الصالحون فنكتفى باتباعنا إياهم حتى يوم الساعة؟ أو من يقودنا نحو الانتهاج بالمصدرين؛ القرآن والسنة فحسب ويجعلنا مقطوع الصلة عن غيرهما بادعاء ألا يحتاج أحدنا إلى غيرهما أياً كان ذلك (السلف أم أحد السلف الصالحين)؟ والمحقق أن هذه الفئة التي تدعى بالسلفية ولا تعمل بما جاء به السلف لا تطغى على الإسلام، فهي مسلمة حقاً، اللهم إلا أنها تأخذ العامة نحو الأباطيل تلو الأباطيل في المعتقدات حتى انبرت تلك التشريعات مظنة الريبة لديهم، وهي في الوقت نفسه تقوم بالترهات نحو الآخرين التي لا يقبلها العقل السليم.

السلفية: لغة واصطلاحاً

كلمة "السلفية" لا تحمل في كيانها معنى القداسة والنقاوة النابعة عن الجدارة العلمية والخلفية بل إنها تشمل كل ما هو متقدم وسالف وسابق في الوجود أو عمل أو مكان⁹. وهذا المعنى خال من القداسة التي تبوأ في أذهان العامة والخاصة على السواء. سلف، سلوفا وسلفاً: تقدم وسبق، فهو سالف. (ج) سلاف وسلف وهي سالفة. (ج) سالف. و - مضى وانقضى¹⁰.

هذه المادة وردت في القرآن الكريم سبع مرات في سياقات شتى:

ورد في سياق النكاح: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾¹¹ أي: ما مضى وما سبق.¹²

وورد في سياق النكاح: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾¹³ أي: ما مضى وما سبق.¹⁴

وورد في سياق الصيد في الإحرام: ﴿عَمَّا سَلَفَ﴾¹⁵ أي: عما سبق.

وورد في سياق الإنابة والتوبة: ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾¹⁶ أي: ما قد خلا ومضى.

وورد في سياق إنذار أبي سفيان وأصحابه: ﴿مَا أَسْلَفْتُ﴾¹⁷ أي: ما قدّمت.¹⁸

وورد في سياق التوبيخ والإنذار الشديد: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾¹⁹ وجاء في تفسير أبي السعود تحت قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ أي: "قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب".²⁰

وورد في سياق الأعمال الصالحة وترك الأعمال السيئة: ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾²¹ أي: ما قدّمت. فلم ترد كلمة "سلف" بمعنى "قدوة أو من يُقتدى به" إلا بالمرّة في سياق سلبي، وهذا السياق السلبي لا يدل أبداً على أن "السلفية" لا تحمل في كيانها المعنى الإيجابي، إنه يعم معنى اتباع خطا الأولين وهم القدوة الصالحة أو الطالحة في خير الأمور أو شرها. والذي يتبع خطاهم يكون سلفياً أي: متبع السلف، وكذلك يسمى بالقلد أي: الذي قلّد السلف الأوائل. "فإن مصطلح "السلفية" لم يرد في كتاب الله ولا سنة نبيه -

صلى الله عليه وسلم - ولذلك فلا يجوز أن يبني عليه ولاء أو عداً".²² أقول - ولا أبالغ - إن هذا المصطلح دخل باب اللبس واللغظ وسوء الفهم والتقدير في معايير ومقاييسه وأصوله وضوابطه.

جذور السلفية المعاصرة

يرى معظم أهل السنة والجماعة أن السلفية لها رافدان: **الرافد السابق** وهو يؤؤل برمته إلى الإمامين الجليلين أحمد بن حنبل [ت 241هـ] لما قام بدعوة الناس إلى التمسك بما جاء به النبي وأصحابه بعد ما فتن المعتزلة الناس بالكلام في الأسماء والصفات وخلق القرآن وعدمه، وأحمد بن تيمية [ت 728هـ] لما قام بإحياء كلمة الحق معارضا لشيوع البدع والخرافات في الشام ومصر خصوصاً وسائر البلاد عموماً. لم يهتم ابن تيمية بما تقوله السلفية المعاصرة اليوم وتهرب عند معارضتها بالحجج الظاهرة على بطلانها. كان ابن تيمية يعتقد أن العقل له دور في تفسير الحق، لكن الحق لا ينشأ إلا بالوحي. والانتماء لا يصح إلا للقرون الخيرة الثلاثة. والتعصب لا بد من نبذه وإن كان للآباء والشيوخ. وهذا الأمر يثبت أن ابن تيمية ومن سبقه لم يكونوا مسؤولين عن نزعة غلو المتأخرين (التلاميذ وغيرهم) من بعدهم ولا ما ينسب إليهم زوراً، وإن كان هذا لا يزكهم بالمطلق، فلكل أحد أخطاء معلومة؛ لأنهم غير معصومين.

الرافد المعاصر

هذا الرافد يعود إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب [1703-1792م] وغيره من الأكابر الكثرين أمثال الشيخ ناصر الدين الألباني، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ ابن عثيمين وغيرهم. إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر في مجتمع تقليدي إلى مقاومة البدع التي سادت في المنطقة التي كان فيها تجاوزت الإحيائيين الأولين؛ إحياء الإمام أحمد وإحياء الإمام ابن تيمية. إنه بلغ الدعوة فشدد فيها، ووصف العلماء والشيوخ (في الجزيرة) بالجهل وعدم المعرفة بالكتاب والسنة، ومن خلال تلك المعركة نشبت حروب صغيرة حيث دخلها في المنطقة إلى أن استقر له الأمر بالاتفاق مع ابن سعود، وهكذا تحولت الدعوة السلفية (الوهابية) لأول مرة إلى حليف للقوة ثم إلى حليف للدولة، وانتهى ذلك التحالف بين الدعوة وحملتها والسلطة وحاملها إلى إنشاء الدولة السعودية الأولى فالثانية فالثالثة. ولا يزال هذا التعاضد والتحالف بين الدعوة السلفية التي انتشرت في البلاد الأعجمية مثل باكستان والهند وغيرهما وبين المملكة العربية السعودية الحالية قائماً. إن للجغرافيا دور ريادي في التمدد الفكري للسلفية حيث تختلف في السعودية عنها في العراق، وهي مختلفة عنها في بلدان الخليج، وهي مختلفة عنها في الإمارات المتحدة، وعمان وقطر، ولكل منها تكتلات وخصائص ومواصفات واستراتيجيات تختلف بها السلفيات عنها في مصر وتونس وليبيا والجزائر والمغرب وموريتانيا والصومال وأفغانستان وباكستان وغيرها. لم يقتصر المذهب الوهابي السلفي على الحجاز وقطر، وإنما انتشر بعد

ذلك في كل من سوريا ومصر والمغرب العربي. فقد شهد كثيرا من أنواع رئيسة للسلفية المعاصرة التي تميزت بمواقعها الجغرافية الآتية: ²³

الأولى: السلفية الشامية التي نشأت في بلاد الشام.

الثانية: السلفية المصرية التي نمت في مصر.

الثالثة: السلفية الخليجية التي تجاوزت الشيبوبة وبلغت الكُبرة في الخليج العربي.

الرابعة: السلفية المغاربية التي تجاوزت حد الصغر وشبّت في المغرب العربي.

الخامسة: السلفية الباكستانية التي أصيبت بسوء النظر إلى أقصى الحد.

والحق أن السلفية المعاصرة ليست جولة عابرة في العقل السلفي، بل لها أطيايف تعود في الأخير إلى أصل واحد وهو الابتعاد عن السياسة والالتزام بمنهج السلف الصالح حسب ما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - : "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم". ²⁴ وبذلك تمتد جذور السلفية المعاصرة مهما تكن جغرافيتها أو هويتها أو طبيعتها بأعماق أجدادنا العلاة.

قضية ساخنة متمذهبية: "سلفية"

إن "السلفية" لم تعد كلمة خفيفة الملمح والظل بل أمضت مثقلة بالمعاني، والدلالات، والإيحاءات، والإشارات التي تحتاج من قارئ فذ عقلا رجيجا. لم تكن هذه الكلمة في المعجم إلا وكان مدلولها الرئيس "الاتباع" و"السير على الخطا" و"القدم" و"العراقة". ثم أضيفت إلى الكلمة معان ذات اتزان ورصانة ودلالات ذات حذق وفطنة وهو "الرجوع إلى الكتاب والسنة وهدرما سواهما" لدى الأوائل، ثم أصبحت (السلفية) محل إشكال ودراسة من جوانب عديدة، وكان على رأسها "المذهب" نتيجة تأثرها بالسياسات الداخلية والخارجية الناجمة عن التحالفات بين أصحاب السلطة والدين. لم تكن السلفية دينية ولا سياسية فعرجت إليها من خلال العراك الديني والسياسي حتى تأسلمت فتمذهبت. باتت "السلفية" مصطلحا دقيق المغزى، وعميق المعنى. الأمر الأول الذي يأتي على هامشه هو الاتباع المحض، لأن "السلفية" تُعنى بما هو منوط بالسلف، أي: أن يقوم المتأخر بالعمل الذي قام به المتقدم، وأن يتبع الأواخر الأوائل، وأن يقلد المتأخرون السابقين الأولين. وهذا السِّلْك الاتباعي - حيثما اتفق الجميع - مؤسس على أبعاد رئيسة:

اتباع التشريع الذي شرّعه الله - تعالى - بالقرآن الكريم.

اتباع التشريع الذي شرّعه الله - تعالى - بالنبي الحبيب - صلى الله عليه وسلم -.

اتباع التشريع الذي شرّعه النبي - صلى الله عليه وسلم - بأدابه وسننه وأقواله وأفعاله وأعماله.

اتباع التشريع الذي شرّعه النبي - صلى الله عليه وسلم - بتوصية اتباع أصحابه - رضى الله عنهم أجمعين -.

اتباع التشريع الذى شرّعه أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - ومن تبعه وتبع تابعيه حتى يوم الساعة. فما سبق وسلف من أئمة الهدى منذ مجئ الإسلام فى الجزيرة العربية هم السلف ومن اتبعهم يكون سلفيا، وأطلق جمهور الأمة على متبعى هذه المنهجية "أهل السنة والجماعة"، أى: الذين حملوا لواء القرآن والسنة وأمسكوهما إمساكا قويا خاليا من كل فتور ووهن. هذه الصورة الموجزة قبل أن يشهد عليها ابن أبى البشريشهد عليها التاريخ نفسه. رغم صفاء هذه الحقيقة ونقاوة هذا الأمر فإن الأمة الإسلامية شلّت إحدى يديها حين اعتصمت فئة منها بالسلفية وفق منظورها الخاص، فتطرفت فى علاج الشرع والفتيا والأحكام والدعوة إلى الحق، وهذه الفئة المتطرفة سرت فى عروق الأمة بحجة اعتقادها متبعة السلف وهى لم تكن إلا قاضية على ما جاء به السلف الصالحون. دعت هذه الفرقة إلى التحرير المطلق من التقليد والاتباع، وقامت بالدعوة إلى الحرية المطلقة، ومن ثمّ لبست لبوس التمذهب حيث صار التيار السلفى وأطيافه المتعددة جزء من الصورة الإسلامية التى تمثلها المنطقة الإسلامية العربية والعجمية فى خارطة العالم. تلك الصورة لها أبعاد تاريخية وجغرافية، إن كانت منها صادقة متشددة، فكانت إلى جانبها فاشلة متخيلة عن سواء السبيل. والقدر المشترك بينها هو عدم التوازن والانسجام فى المعايير المشرّعة التى تتبعها.

- من دعاة السلفية المتذهبية من اعترفوا بالمصدرين الرئيسيين؛ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الراشدة - صلى الله عليه وسلم - مع الإنكار المضلل لصلاحيّة الاحتجاج بما جاء به الصحابة - رضى الله تعالى عنهم أجمعين - ومن تبعهم من أئمة الهدى ومجتهدى الأمة.
- ومنهم من أنكر إنكارا صريحا لصلاحيّة الاحتجاج بما ورد فى غير كتاب الله - تعالى -. فسموا أنفسهم بالقرآنيين أى: متبعو السلف الصالحين على النهج القويم رغم ابتعادهم عن سواء السبيل وضلالهم عن جادة الحق. ولم يقف الأمر لهذا الحد بل تجاوز أمرهم الشتيمة وبلغ مبلغ تكفير الآخرين.
- ومنهم من احتجوا بالكتاب والسنة واعتمدوا على الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين - مع رفضهم الاعتماد الكلى على سائر الأمة؛ التابعين وتابعيهم والأئمة الآخرين.

العراك بين السلفية والسلفى وبين التقليد والمقلد:

نشأت شبهات عديدة حول العلاقة بين الثنائية المعروفة بالسلفى والمقلد أو السلفية والتقليد. رأى كثير (فى شبه القارة الهندية) من الذين ظنوا أنفسهم أكثر الناس اتباعا للسلف من الآخرين أن الحنفية وأمثالهم ليسوا سلفيين بل إنهم مقلدون، وبالمقابل كثير منهم رأوا أن غير الحنفيين ليسوا متبعي السلف الصالح، فكان الجدال أمضى الجدال بين الحنفية وغير الحنفية، فالحنفية غير السلف بينما غير الحنفية فهم أتباع السلف الصالح. هذه فكرة ليست بغريبة بل هى شائعة من الشائعات المتذهبية. وأصحاب هذا الرأى وضعوا فى كفة واحدة من كفتى الميزان كلتا الكلمتين؛

السلفية وغير التقليد. وأفتوا بالتناقض بين "السلفية" و"التقليد". واعتبروا "التقليد" من أجزاء الإيمان (الحنفى). والذى يفهم من ذلك هو أن الحنبلى أو المالكى أو الشافعى أو غيرهم من المذاهب الفقهية الشائعة قديما ثم حديثا ليسوا مقلدين بل إنهم سلفيون، أما الحنفى فإنه مقلد، وليس سلفيا أو بالعكس. وانتهى هذا الأمر إلى أن ما كان من الواجب أن يأخذ الأولوية في تقدير الأمور قد تناستها العقول المشتغلة بتوافه الأمور. هذا المنطق يدل بكل صراحة هدر الحنفية والحنفى، والحنبلية والحنبلية، والمالكية والمالكية، والشافعية والشافعى، والبحث ليس في موقف الدفاع عن هذه المذاهب الفقهية وفروعها اللهم إلا أنه يشهد بالمدلول الصحيح للسلفية والسلفى، وهما من منظور الواقع الجماعى مترادفان لكلمتى "التقليد" و"المقلد"، وهما من منظور الواقع العلمى متقاربتان لكلمتى "الاتباع" و"المتبع". كان الحافظ أبو عمرو بن الصلاح شافعيًا، ومع ذلك لقب بالسلفية، يقول الإمام الذهبي عنه: "وكان (ابن الصلاح) سلفيًا".²⁵ فما فهم من المصطلحات: "أهل الحديث"، و"أصحاب الحديث"، و"أصحاب الأثر"، و"المحدث"، و"الحافظ"، و"المجتهد"، و"السلفى" وهلم جرا أنها تدل على غير المقلد هو غير صحيح. فالسلفية لم تسر مسارات فقهية منضبطة بأصول المذهب كما هو في المذاهب الأربعة أو بقية المذاهب السنية كمذهب داود وابن أبي ذئب وغيرهما.

السلفية الصحيحة

للسلفية أساسا صورتان:

أولاهما: الصورة الحقيقية الماثلة في فهم الكتاب وسلف الأمة: وهم النبى - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه والتابعون وتابعو التابعين. والتمسك بالكتاب وما يليه ابتعادا عن كل المداخلات الخارجة عن الإسلام وتعاليمه، والتمسك بما نقل عن السلف.²⁶

والأخرى: الصورة غير الحقيقية وهى التى تمثل مدرسة من مدارس الفكرة السنية التى تستهدف إصلاح أنظمة الحكم والمجتمع إلى ما يتوافق مع النظام الشرعى الإسلامى بحسب ما يرضيه. فالحق أن السلفية تدعو إلى التقليد الشامل. بعض الناس يقلدون بعض السلف الذين ارتضوا بهم، ويخالفون سائر السلف الذين لا يرونهم أهلا لتقليدهم. هذه الفكرة فى ذاتها محل الإشكالية. كيف يفتى الإنسان العادى وهو مقلد محض أن فلانا من السلف على حق والآخر على باطل؟ هذه الفكرة ليست إلا حالة من حالات الإحباط العقلى والفكرى. لسلفية الصحيحة داعية الحق واتباع منهج السلف الصالحين وعلى رأسهم الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين - ومن والاهم ثم الأئمة الأربعة الذين صاروا قدوة للأمة الإسلامية جمعاء فى الأمور الفقهية. هذه الفئة التى تعتبر "التقليد" شيئا من الضلالة والانحراف عن الطريق الصحيح إنها لا تدرك مدى الاختلافات فى العبادات والمعاملات كالبيع والشرء والإجارة... التى وقع بين أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم من تبعهم بإحسان. هذا التفاوت فى الرؤية إلى "التقليد" أولد كثيرا من التشييت والتفريق، وقضى على التوحيد والتوحيد. فالعلماء

الربانيون الذين بذلوا جهوداً جبارة بغية توحيد آراء الفرق المتناحرة ضعفت، ووهنت، فتلاشت، واضمحلت. السلفية بشكلها الدقيق مصداق قول النبي - صلى الله عليه وسلم - "خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"، وهذه الألفاظ تشير إلى المسلمين الذين عاشوا القرون الثلاثة الأولى من ظهور الإسلام، ثم تفرعت منها مدارس عديدة أخذت تدعو جميعها إلى اتباع السلف الصالح على اتفاق أغلبهم على المدلول العام للسلفية، وخلافات كثيرة عند تفصيل معناها. إن للسلفية ثلاثة دعائم: الدعم الأول: القرآن الكريم، الدعم الثاني: السنة النبوية الرشيدة، الدعم الثالث: السلفية. وما سواها من المفاهيم المرتزقة فهي ليست إلا ضروباً فسدت وزهبت سُدى. فالسلفية الصحيحة هي الدعم الثالث للعقل المتدين الذي لا يجد حلاً مناسباً للمشكلة فيبحث عن حلها عند السلف.

من التقليد إلى اتباع السلف (السلفية)

التقليد من القلد أى: القتل. ومنه القلادة: "المفتولة التي تجعل في العنق من خيط وفضة وغيرهما، وبها شبه كل ما يتطوق، وكل ما يحيط بشيء".²⁷ فالتقليد تحمل بين طياته معنى الإلزام أى: تفويض الأمر إلى فلان والزامه إياه، والالتزام أى: اتباع فلان فيما يقول أو يفعل، من غير حجة ولا دليل. لو طُبِّقَ هذا المفهوم دون إيفاء ضروراته التي يطالبها التصرف فيما لوقع المجتمع الذي يعايشه الناس باختلاف ألوانها وصورها وأشكالها في مأزق عديدة. رأى ابن حزم [ت 456هـ] أن التقليد بالمعنى الشائع ليس بصحيح على الإطلاق حتى من قلدوا استحيوا من تسمية "التقليد" وفضلوا عليه "الاتباع".²⁸ وصرح ابن عبد البر [ت 463هـ] بالتفريق بين "التقليد" و"الاتباع" قائلاً: "التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لاحجة لقائله عليه، وهذا ممنوع منه في الشريعة، والاتباع ماثبت عليه حجة".²⁹ وقال في موضع آخر من كتابه: كل من اتبع قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مُقلِّده، والتقليد في دين الله غير صحيح. وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه. والاتباع في الدين مسوّغ والتقليد ممنوع". صارت المسألة مختلفاً فيما عند القدماء حتى وقع الخلاف فيما ورد من النبي - صلى الله عليه وسلم - أ هو تقليد أو اتباع. اتفق جميع الأئمة على أن الفرق الرئيس بين "التقليد" و"الاتباع" هو أن الأول يشير إلى التقليد المحض أى: عدم معرفته وجه القول وصحته وضعفه. بينما الآخر فهو يشير إلى اتباع قول القائل إذا بان المعنى، ووضحت الحجة، وظهرت الصحة لدى المتبع.

الخاتمة

تحتاج السلفية وتحولاتها إلى مراجعة ودراسة، لأن المشكلة التي أحدثت ضجة كبرى بين جميع الأوساط هي اللغة العالمية القائمة بين أهل السنة والجماعة. انتساب "السلفية" بمدلولها الصادق إلى الأئمة مثل: الإمام مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - وبعض أكابر القرون الثلاثة الأولى لا تعنى إلا القضاء النهائي على تجليات السنة العليا. والسلفية لدى السلف لم تكن تعنى بالخلاف بل هي تعنى

بالجمود والمحاربة ضد البدع والغزو الفكري الأجنبي الاستخراي (الاستعماري). ينبغي أن ترد السلفية بمفهومها الضيق من المذهبية إلى سعة المنهجية الداعية إلى سعة الصدر والرحب التي تؤيد الآراء المختلفة المخالفة، لأن الاختلاف في الفروع رحمة للأمة جمعاء. فكل كبير نهل من مناهل شتى حتى صار له طريق واضح المعالم لمن يبتغون سواء السبيل. إن مجابهة التحديات الراهنة التي تتحدى الأمة كلها تطالبنا أن نعيش لعصرنا، وألا نبقي حبس الماضي، وأن نجتهد للمستجدات والنوازل آخذين العبرة من الماضي لنعايش بها الحاضر ونستشرف بها المستقبل، ولا يتحقق ذلك دونما استصحاب المنهج، وليس المذهب. منطلقا مما سبق إن السلفية بمدلولها المعاصر لا تفصل على الإطلاق بين رؤية السابقين لديهم وديناهم وبين واقعهم المعاصر. فالسلفية المعاصرة تفقد فلسفة تكيف النصوص الدينية وانسجامها مع واقع حي. وهذا الأمر أدى الأمة كلها إلى الانتحار العقلي والديني وانتهى إلى المكار والمهالك الآتية: 1. الافتخار بدعوى "نحن قرآنيون" وهذه الكلمة حق أريد بها الباطل. 2. الطعن فيما جاء في السنة. 3. تفسير القرآن حسب الهوى. 4. التناول على العلماء، وإسناد الآراء الفقهية الأخرى إلى الضلال، والقول: "هم رجال ونحن رجال"، فكأنها معركة على الفحولة. 5. اتصاف الدعوة السلفية بالتجهم والانقباض والعبوس والغضب والكره مع أن من لوازم الدعوة اللين والرفق والتلطف والبشاشة والهشاشة التي علمها خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم - أصحابه وأصحاب أصحابه إلى يوم الدين.

وأخيرا إن السلفية المغلفة بالجنوسة والجغرافية والعرقية والطائفية فهي ليست إلا فسادا وخرابا ودمارا وهلاكاً لأهل السنة والجماعة حتى فرزت غيرهم عن الإسلام، وأفنت بضلالهم في حين أن المنهج السلفي السائر على الصراط المستقيم (القديم والحديث) كان مسير المسلمين ومدارسهم الفكرية منذ العصور التي تعتبر مدرسة أهل الحديث رعيها الأول.

References:

- ¹ Imam Tirmazi reported this in his book, chapter in superiority of knowledge to Ibada (worship), under the number 2687, and then he commented saying: this Hadith is Grib. Imam Al-Bani also considered this Hadith as unreliable.
- ² Al-Hujrat, verse, 13.
- ³ Al-Ahzab, vers, 62.
- ⁴ Al-Fatir, verse, 43.
- ⁵ Al-Hazab, verse 38.
- ⁶ Imam Muslim reported this hadith in his book, under the chapter of "Friday" oration and its shortness, vol. 2, p 592, the number of Hadith is 867.
- ⁷ Al-Hujrat, verse, 10.
- ⁸ Imam Bukhari reported this in chapter of Adab, under being merciful to humanbeing and animals, Hadith number 2011.
- ⁹ See: Muhammad ibn Tahir ibn Ashur, Tafsir al-Tahrir wa al-Tanvir known as Tafsir ibn Ashur, printed and published by Moussasa al-Tarikh, Beirut-Lubnan, vol. 25, p 273.

- ¹⁰ Ibrahim Mustafa, Ahmed Hassan al-Zayyat, Hamid Abd ul-Qadir, Muhammad Ali Najar, al-Mojam ul wa-Seet, Dar al-Dawa, Moussasa Taqafyya le-Talif wa-Tabah wa-Nashr wa-Tauzeeh, Istanbul-Turkey, volume 2, p 443.
- ¹¹ Al-Nisa, verse, 22.
- ¹² See: Sharaf al-Din al-Husain ibn Abdullah al-Tibi, Fatuh al-Ghaib fi al-Kash ann Qina al-Rayb, Notes: Dr. Hasan ibn Ahmed al-Umari, Dr. Salih ibn Nasir al-Nasir, general supervision: Dr. Muhammad Abd al-Rahim, Sultan ul-Ulama, Jaiza Dubi al-Doulia for Holy Qur'an, Wahdat al-Bhoos wa al-Dirasat, vol. 4, Pp 487-489.
- ¹³ Al-Nisa, verse, 23.
- ¹⁴ Fatuh al-Ghaib fi al-Kash ann Qina al-Rayb, vol. 4, Pp 490-498.
- ¹⁵ Al-Maida, vers, 95.
- ¹⁶ Al-Anfal, verse, 38.
- ¹⁷ Yunus, verse, 30.
- ¹⁸ Nasir ul-Din Abu Said Abdullah ibn Umar al-Sherazi al-Bayzawi, Notes: Muhammad Muhy ul-Din al-Asfar, Dar al-Marifa le-al-Taba wa-Nashr wa-Taouzeeh, Beirut-Lubnan, publication number 1, 2013, p 451.
- ¹⁹ Al-Zukhruf, verse, 56.
- ²⁰ Abu Saud Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa al-Imadi al-Hanafi, Tafsir Abi al-Saud Irshad al-Aql al-Salim Ila Mazaya al-Kiab al-Karim, Taqiq and Takhrig: Muhammad ibn al-Afifi, Khyri ibn Said, Dar al-Mustfa li-Tibah-Qairo, vol 6, p 41..
- ²¹ Al-Haqa, verse, 24.
- ²² Al-Shaykh Kazim al-Salhi, al-Salafiyya al-Muasira... Juzooruha al-Tarikhyya wa Tamdduha al-Jugrafyyu, al-Markaz al-Islami li-al-dirasat al-Istiratigiyyat, having keen focs on Istiratigiyyah wa-al-marifiyya, al-Najaf al-Ashraf, p 8.
- ²³ See all details of these Salfiyyat: Shakir al-Nabulsi, Tahafat al Usuliyya Naqd Fikryy lil-Usuliyya al-Islmaiyya min Khilal Waqiha al-Mash, printing 1, (2009), al-Moussasa al-Arabiyya li-al-Dirasat wa-al-Nashr, Beirut with contribtion of Dar al-Faris li-al-Nashr wa al-Touzee, Jordan, Pp 23-27.
- ²⁴ Imam Bukhari mentioned this Hadith under the number 2530.
- ²⁵ Muhammad ibn Ahmed ibn Usman ibn Qyymaz al-Zahabi Shams al-Din Abu Abdullah, Tazkira al-Huffaz, (T: al-Mullimi), Taqeeq: Abdu Rahman ibn Yahya al-Muallimi, Daira al-Maarif al-Usmaniyya, 18th addition, volume 4, p 1431.
- ²⁶ See for details of Salafiyya concept: al-Shaiykh Muhammad ibn Ahmed al-Safarini, Lawamio al-Anwar wa Sawate al-Asrar al-Asariyya le Sharh al-Durra al-Muziyya fi Aqd al-Firqat al-Murziyya, volume, 1, p 20.
- ²⁷ Al-Ragib al-Asfahani, Mufradat al-Faz al-Qur'an, Taqeeq, Safwan Adnan Daoudi, Qaf letter, p 682.
- ²⁸ Abu Muhammad Ali ibn Ahmed ibn Ahmed ibn Saeed ibn Hazm, al-Iham fi Usul al-Aham, Taqeeq: al-Shaiykh Ahmed Shakir, addition 2, 1983, Dar al-Afaq al-Jadia, Beirut, Volume 6, p 60.
- ²⁹ Abu Umar Yousuf ibn Abd al-Bir, Jamiy Bayan al-Ilm wa Fazlho, Taqeeq: Abu al-Ashbal al-Azhari, Dar Ibn al-Jouzi li-al-Nashr wa al-Tauzee- Kindom of Saudi Arabia, addition 1, 1994, volume 2, p 993.